الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه «كشف الشبهات» :

إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:٤٨]، **وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاه، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبَ النَّاسِ عَلَيْهِ مِنْ الْجَهْلِ بِهَذَا، أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ؛ الْأُولَى: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس : ٥٨] . **وَأَفَادَكَ أَيْضاً: الْخَوْفَ الْعَظِيم، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِّسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، كَمَا ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ، خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، أَنَّهُم أَتَوْهُ قَائِلِينَ:** ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف:١٣٨]، **فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.**

****

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: «**إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ**» ؛ "مَا قُلْتُ لَكَ": أي فيما تقدَّم في هذه الرسالة من تمهيداتٍ مهمة وتقديماتٍ عظيمة بيَّن فيها رحمه الله تعالى دين المرسلين، وأنه قائم على توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له، والبراءة من الشرك، وبيَّن فيها حقيقة دين المشركين، وأنَّ المشركين يُقرُّون بأنَّ الخالق الرازق المنعِم المتصرِّف في هذا الكون هو الله، وأيضاً يعبدون الله عز وجل، ويذكرون الله كثيرًا، ويتصفون بصفاتٍ فاضلة؛ كصلة الأرحام وإطعام الطعام وغير ذلك؛ لكنهم لا يُخلِصون لله عز وجل العبادة، لا يُخلِصون له الدعاء، لا يُخلِصون له الذبح والنذر؛ بل يجعلون مع الله تبارك وتعالى في ذلك الأنداد والشركاء، ويزعمون أنَّ اتخاذهم لهذه الأنداد من أجل أن تقربهم إلى الله وأن تكون شافعاً لهم عند الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من المقدِّمات والتمهيدات العظيمة التي بدأ رحمه الله هذه الرسالة بها.

فيقول هنا: «**إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ**»، ومعرفة القلب: هي التي يكون فيها قلب الإنسان حاضرًا واعيًا ضابطًا للأمر، لا أن يكون حظ الإنسان من العلوم مجرد السماع دون أن يكون القلب حاضرًا ﴿إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]؛ لهذا أكد رحمه الله على هذا الأمر بقوله: «مَعْرِفَةَ قَلْبٍ»؛ أي: تضبط ذلك بقلبك.

«**وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِالله عز وجلِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾**[النساء: ٤٨] »؛ أي أنَّ حقيقته اتخاذ الأنداد مع الله، وتسوية غير الله بالله في شيءٍ من خصائصه، وصرفُ شيءٍ من العبادة لغيره تبارك وتعالى، ((من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار))، فالشرك هو: اتخاذ ندٍ مع الله عز وجل يُدعَى مع الله؛ يُذبح له؛ يُنذَر له ، تُصرَف له أنواع العبادة.

«**وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاه**»؛ كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥]؛ كما قال عز وجل: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]؛ كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وهو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم: وهذا أمرٌ سبق البيان عليه عند الشيخ رحمه الله تعالى.

قال: «**وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبَ النَّاسِ فِيهِ مِنْ الْجَهْلِ بِهَذَا**» أيضاً إذا عرفت هذه الأمور ثم تتأمل في الوقت نفسه حال غالب الناس وكثيرٍ منهم، وأن غالب الناس في جهلٍ لهذا الأمر، يجهلونه ، لا يعرفونه، لا يفهمونه.

إذا عرفت ذلك كله «**أفادك فائدتين**»، إذا عرفت هذا كله؛ عرفت دين الأنبياء والمرسلين، عرفت الشرك الذي هو ضاده، وعرفت دين المشركين الذي بُعِثَ فيهم النبي عليه الصلاة والسلام، ثم بعد ذلك نظرت إلى واقع كثيرٍ من الناس وأنهم في جهلٍ من هذا الأمر، لا يعلمون به ولا يعرفونه، إذا عرفت هذه الأمور معرفة جيدة وألممت بها إلمامًا طيبًا، يقول الشيخ: هذا يفيدك فائدتين، هذه المعرفة تفيدك فائدتين.

قال: «**الْأُولَى: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ**»؛ الفائدة الأولى: أن قلبك يفرح بهذا الخير الذي ساقه الله إليك ومَنَّ عليك به، مع أنَّ أكثر الناس يجهلونه. وهنا تظهر قيمة هذا الأمر الذي مُنَّ عليك به، لو كان هذا الأمر العظيم الذي مُنَّ عليك به وبه سعادتك في الدنيا والآخرة أُعطِيَ لكل الناس لكان حقيقًا بك أن تفرح به فرحاً عظيماً ، فكيف والحال أنَّ هذا الأمر أكثر الناس في جهلٍ عنه وعدم علمٍ به ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص:٢٤]. فإذا فهمت هذا الأمر وعرفته وعرفت دلائله وشواهده، ورأيت حال كثيرٍ من الناس في جهلٍ عظيمٍ به وعدم علمٍ به تفرح بفضل الله وبرحمته، وهنا الفرح لا يُذَم ولا يتعارض مع قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[القصص:٧٦]؛ هذا فرح بالدين، فرح بنعمة الدين؛ الإيمان؛ التوحيد، ليس فرح أَشَر وبَطَر وتعالي؛ وإنما فرح إغتباط بنعمة الله سبحانه وتعالى وسعادةٍ بها.

قال: «**الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس:٥٨]»، وهذا الفرح يُباشِر القلب عندما يَعِي المسلم ويستحضر هذه الأمور الذي مَهَّد بها الشيخ وقدَّمها، أما من لا يَعِي تلك الأمور لا يُباشِر هذا الفرح قلبه ولا يُخالِط قلبه؛ لكنَّ من وَعَى هذه الأمور وفهمها ودخلت قلبه وضبطها ثم نظر إلى واقع كثيرٍ من الناس أو أكثر الناس وجدهم في جهلٍ بهذا الأمر وعدم علمٍ به يفرح من جهة مَنِّه الله عليه سبحانه وتعالى بأن جعله من هؤلاء الذين هُدُوا للطريق القويم والجادة السَّوِيَّة؛ دين الله تبارك وتعالى الذي رضيه الله لعباده.

أرأيت لو أنَّ مُجتمَعًا من المجتمعات تعيش أنت فيه سرى فيهم مرضٌ فتاك وأضرَّ بهم ضرراً بالغاً وأصبح أكثر الناس طريحي الفراش ويُعانون أنواع الآلام والأسقام من ذلك المرض ، ونظرت إلى الناس وإذا بأكثر الناس أَلَمَّ بهم هذا المرض وأضرَّ بهم؛ ثم وجدتك في عافية، وجدت أنك عُفيت وسَلِمْت ولم تُصب من هذا المرض بشيء ولم تتلوث منه بشيء فتدرك نعمة الله تبارك وتعالى عليك ، ولهذا يقولون: "بِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ"، ربما لا تشعر بقيمة الصحة التي تتمتع بها؛ لكنك إذا رأيت المرضى في المستشفيات وأنواع المعاناة التي يُعانون بها تُحس بقيمة الصحة، قد لا تُحس بقيمة النور وأنت كل ليلةٍ تقرأ كتابك في إضاءةٍ جيدة؛ لكن لو طَفِئَ النور عنك ليلة وأحببت أن تقرأ كتابك كعادتك تُحس حينئذٍ بقيمة النور، بِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ، ولهذا نبَّه الشيخ على هذا المعنى بقوله: «وعرفتَ حال كثيرٍ من الناس»، بعد أن تعرف هذا الخير وهذا الفضل بأدلته وبراهينه؛ تعرف حال أغلب الناس وأنهم في جهلٍ من هذا الأمر؛ تفرح فرحاً عظيماً بأن الله عز وجل صرف عنك هذه الشرور وهداك لهذا الخير، وله المنُّ وله الفضل جل وعلا، وله الحمد أولًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا، نحمده سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربنا ويرضى، ونسأله جل وعلا أن يثبتنا على دينه.

قال: «**وَأَفَادَكَ أَيْضاً: الْخَوْفَ الْعَظِيم**»، تفرح وفي الوقت نفسه تخاف، "وَأَفَادَكَ أَيْضاً" هذه الفائدة الثانية، "الْخَوْفَ الْعَظِيم": أي الخوف على هذا الشيء الثمين الذي فُزت به ونِلْتَهُ وأكرمك الله عز وجل بالظَّفَر به وصرت من أهله؛ فأصبحت تُحس أنَّ معك كَنْزٌ هو أثمن كَنْز؛ فيبدأ مع الفرح الذي يُباشِر قلبك أيضاً يكون معك خوفٌ على هذا الكَنْز أن يذهب؛ ألَّا يبقى؛ أن يتبدَّل. والخوف من الشرك من المطالب التي دلَّت عليها النصوص، وأرشدت إليها الأدلة، وفي «كتاب التوحيد» للشيخ رحمه الله بابٌ عنوانه «الخوف من الشرك»، أورد فيه قول إمام الحنفاء إبراهيم الخليل الذي حطَّم الأصنام بيده وكسرها بيده قوله في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]، قال إبراهيم التيميّ: «ومن الذي يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!»، وجاء في الحديث المرويّ عن نبينا صلى الله عليه وسلم عن غير واحدٍ من الصحابة منهم عائشة وأم سَلَمَة وأنس وغيرهم أنَّ أكثر دعائه عليه الصلاة والسلام: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))، حتى إنَّ أنس رضي الله عنه قال: «قلتُ: يا رسول الله!

آمنا بالله وبما جئت به، أَوَ تخافُ علينا؟ -إن حصل لنا هذا الإيمان-»، قال: ((نعم))، هكذا قال عليه الصلاة والسلام: ((نعم))، ((إنَّ قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبُها كيف يشاء))، وجاء في الحديث نفسه أنَّ أم سَلَمَة قالت للنبي عليه الصلاة والسلام لما سمعته يُكثِر من هذا الدعاء «أَوَ إنَّ القلوب لتَتَقَلَّب؟»، قال: ((ما من قلبٍ إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبُه كيف يشاء؛ فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه)).

فإذا أكرم الله سبحانه وتعالى عبده ومَنَّ عليه بمعرفة التوحيد ومعرفة براهينه ودلائله ومعرفة حال الناس وأكثر الناس وإنصرافهم عنه ؛ يُفيده هذا الفرح ويُفيده أيضاً الخوف العظيم؛ الْخَوْفَ الْعَظِيم: أي على توحيده وعلى إيمانه أن يذهب، أن يتغير، أن يتبدل، أن يُبتلى والعياذ بالله بشبهاتٍ تخدش توحيده، أو تنقص توحيده، وهي كثيرة جداً في الحياة الدنيا، الشبهات كثيرة الصارفة عن التوحيد والصَّادة عنه، وخاصة في زماننا، مع وسائل الانفتاح الكثيرة التي حصلت ووسائل الاتصال، كَثُرَت الشبهات على الناس؛ مع قلة علمهم بالتوحيد، وقلة فهمهم له، قلة بصائرهم بدلائله وبراهينه، وجاءتهم شُبَه؛ شُبَه جارفة، فهنا يُقال بشكلٍ أكبر ما قِيل قديمًا: "ليس العجب ممن هلك كيف هلك؟! ولكنَّ العجب ممن نجا كيف نجا؟!"، الصوارف كثيرة ولا عاصم منها إلا الله سبحانه وتعالى، ولا مُنجِّيَ منها إلا الله سبحانه وتعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

فيكون الإنسان خائفاً على توحيده وعلى إيمانه، وإذا وُجِدَ عنده هذا الخوف على توحيده فإنه لا يصنع صنيع كثير من الناس الذي عنده من أسهل ما يكون أن يُخاطِر بدينه، هذا واقع؛ واقع كثير من الناس من السهولة بمكانٍ عنده أن يُخاطِر بدينه، وأن يجعل دينه على خطر، وذلك من خلال عدم مبالاته؛ بالسماع لكل أحد؛ ومشاهدة كل شيء؛ والتنقل في المواقع والقنوات ولا يُبالي، وهذه مُخاطَرة بالدين، قد قيل قديمًا: "إن كنت مخاطرًا بشيء فلا تُخاطِر بدينك"، دينك أغلى شيء عندك، وأثمن شيء عندك، ومن كان خائفاً على دينه من الذهاب أو التغير أو التبدل لا يُخاطر به، كيف يُخاطر بدينه من عرف قيمته وعرف مكانته وذاق طعمه وحلاوته وفرح به واغتبط!! ، عبد الله بن المبارك دخل عليه رجل من أهل الأهواء وقال: "أقرأ عليك آية من كتاب الله؟"، قال: "اخرجوه عني!"، وهو الإمام الجليل، والفقيه العالِم قال: "اخرجوه عني"!!، فقيل له: "إنما أراد أن يقرأ عليك آية من كتاب الله؟!"، قال: "خشيتُ أن يطرح عليَّ شبهة تُجَلْجَلْ في قلبي حتى أموت"، تبقى تتردد في نفسي إلى أن أموت وما خَرَجَتْ، شبهة واحدة!، وهو الإمام الجليل، ثم ترى الأحْدَاث وصغار الأسنان وقليلي العلم والجهال بدين الله يُخاطرون بدينهم ويسمعون لكل أحد!، ويسمعون لكل ناعق!؛ ولهذا تُبتلَى كثير من القلوب بِرُكَامٍ من الشبهات ورُكَامٍ من الوساوس والشكوك، والسبب أن صاحبها خاطر بنفسه وفتح قلبه لكل أحد يُلقي فيه من الشبهات ما شاء.

الشاهد: أنَّ مَنْ عرف قيمة الدين والتوحيد وفضل الله سبحانه وتعالى عليه به وهدايته له وانصراف أكثر الناس عنه وجهلهم به ؛ يفرح به فرحاً عظيماً وفي الوقت نفسه يخاف عليه، ومَنْ كان عنده كَنزٌ ثمين يخاف عليه فإنه يكون في حياته في مُجاهدة ببقاء هذا الكَنز وعدم ذهابه. ولا ينبغي للإنسان أن يلتفت إلى الأسباب؛ بل يلتفت قلبه ويعتمد ويتوكل على الله جل وعلا؛ لأنَّ التثبيت بيد الله، والتوفيق بيد الله، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ فيلجأ إلى الله صادقاً أن يُثبِّت قلبه وألَّا يُزيغه ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨]، ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))كان هذا أكثر دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام، وجاء في الصحيحين أنَّ من دعائه عليه الصلاة والسلام: ((اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضلَّني، فأنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون))، فيلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، ويُجاهد نفسه على معرفة الأسباب الصحيحة ، وبذل الأسباب الصحيحة؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله)) ، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((اعملوا فكلٌ مُيَسَّر لما خُلِقَ له)) ، كما قال جل وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥] ، كما قال جل وعلا: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود:١٢٣].

قال: «**فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِّسَانِهِ**»، قد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام ((إنَّ الرجل يقول الكلمة لا يُلقِي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً)) ، إذا عرفت ذلك وعرفت خطورته، وأنَّه يهوي بالإنسان إلى النار، وربما كلمة قالها الإنسان بلسانه هَوَى بها في النار سبعين خريفاً – والعياذ بالله–، وأدرك خطورة هذا الأمر؛ يبدأ الخوف يزيد عنده من المخاطَرة بالدين والمسارعة أو الوقوع في الكلمات التي تخدش في التوحيد أو تُنقصه أو تُناقضه.

قال: «**إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِّسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ**»؛ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ: أي لا يدري ما تبلُغ به الكلمة، أو أنها لا تصل به إلى هذا المَوْصِل أو هذا الأمر أو هذا القعر من النار أو هذا القَدْر من العقوبة، قال: «وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهِ»؛ وذلك لكونه مُفرِّطًا؛ مُهمِلاً مُضيِّعاً غير مُبالٍ بدينه ولا مُهتمٍ به؛ ومُخاطِر ومُعرِض.

قال: «وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، كَمَا ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ»؛ أليس المشركون حالهم قامت على هذا الظن؟! ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨]، ما قالوا نحن عبدناها لتُدخِلنا النار! ولنذوق بها عذاب الله وعقوبته! ولنصلى ناره! ولنحظى بسخطه علينا!؛ ما قالوا ذلك!،

قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، نحن مُرادنا بهذه العبادة وبهذا الدعاء وبهذا الالتجاء للأصنام من أجل أن تُقرِّبنا إلى الله ، قد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن المشركون.

«**خُصُوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُم أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف:١٣٨]»؛ إذا تذكرت مثل هذا القَصص فإنها تزيد الخوف عندك؛ ولهذا قال الشيخ: خُصُوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ : يعني عرفت واستحضرت وفهمت مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ؛ كانوا أهل صلاحٍ وعلم، وكانوا مَضَوْا مع موسى وصبروا على البلوى معه؛ أَنَّهُم أَتَوْهُ قَائِلِينَ ، بعد أن مروا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم، مروا على قوم عندهم أصنام وهم عاكفون عليها فنظروا إليهم ومروا بهم فجاءوا إلى موسى يُطالبون: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف:١٣٨]، كانوا أهل صلاح وأهل علم وعرَّفهم التوحيد وشرحه لهم وبيَّنه لهم ،ويمشون مع نبي؛ مع موسى عليه السلام، ثم مروا بأصنام عليها قوم عاكفون فأعجبهم هذا الأمر ، ولهذا طالبوا قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، مثل هذا حُدثاء الإسلام في قصة حديث أبي واقد الليثي قال الحديث وقدَّم بالاعتذار في أوله، قال: «كنا حُدثاء عهدٍ بكفر؛ فمررنا على شجرة للمشركين يَنُطُون عليها أسلحتهم ويعكفون عندها، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، قال: ((قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾)) .

ولعلك هنا تُدرك أن المرور على عُبّاد الأصنام والأوثان والأضرحة والقباب قد يؤثر على الإنسان الذي عنده شيء من العلم بالتوحيد، قد يؤثر عليه ويلوث قلبه ويدخل عليه شيء من الشبَه، وهكذا الحال فيمن يمر من خلال مواقع الانترنت والقنوات الفضائية على مثل هذه الأعمال والصنائع، وربما زُخرف الأمر وزُيّن وأُظهِرت المحاسن المدَّعاة والثمار المدّعاة فينصرف قلب الإنسان عن التوحيد إلى مثل هذه الأعمال الشركية والعياذ بالله، وكم من إنسان حصل له مثل ذلك أو شيء منه بسبب مثل هذه المخاطرة ؛ ولهذا يجب على كل إنسان ناصح لنفسه أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأن يغلق على نفسه باب خطورة القنوات ومواقع الانترنت على نفسه وعلى أهله وعلى ولده ، وأن يكون من ذلك على حيطة وحذر.

قال: «**فحينئذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ**» إذا استحضرت مثل هذه الأمور يَعْظُمُ خَوْفُكَ أي على توحيدك وعلى إيمانك.

قال: «**وَحِرْصُكَ**» أي: يعظم حرصك؛ لأنه كلما زاد الخوف على الشيء الثمين زاد الحرص عليه، وكلما رَخُصَت قيمة الشيء الثمين في نفس الإنسان قلَّ حرصه عليه.

قال: «**يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ**»؛ وهنا ينبه الشيخ أنك لا تكتفي بمجرد الخوف؛ بل ينبغي أن يكون لهذا الخوف ثمرة؛ وهي الحرص، وينبغي أن يكون لهذا الحرص ثمرة؛ وهي بذل الأسباب في كل ما يخلصك من هذه الأمور وينجيك منها . ولهذا أقول: ينبغي عليك أن يكون أحرصُ ما ينبغي أن تحرص

عليه في هذه الدنيا التوحيد ، وأَحْوَف ما ينبغي أن تخاف منه في هذه الحياة الدنيا الشرك ، فليكن التوحيد أعظم أمر تحرص عليه، وليكن الشرك أعظم أمر تخاف منه ؛ لأن صلاحك في دنياك وأخراك في التوحيد، وخسران الإنسان في دنياه وأخراه في الشرك بالله، قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الإنفطار:١٤-١٣] أي في دورهم الثلاثة : في الدنيا والقبر ويوم القيامة.

قال رحمه الله تعالى:

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيد إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

****

ثم قال رحمه الله تعالى: «**وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيد إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً**»، وهذه مسألة مهمة وعظيمة في هذا الباب ينبغي على طالب العلم وطالب الهدى والحق أن يَعِيَها وأن يفهمها؛ لم يبعث الله نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً، ليس جَعْلُ الأعداء للأنبياء من هَوَان الأنبياء عند الله؛ ولكن ليبتليَ أنبياءه ولتعلوَا مقاماتهم عند الله عز وجل وترتفع درجاتهم بصبرهم على دين الله وصبرهم على الدعوة إلى توحيده ، ومكابدتهم في هذا الأمر، وبذلهم الجهود المتواصلة والتضحيات البالغة والجهد العظيم في نصرة التوحيد وحماية حماه والسعي في نشره، ورد الشرك بما يكون لهم عُلو المرتبة ورفعة الدرجة وعُلُو المنزلة، الله عز وجل ابتلاهم بتسليط الأعداء عليهم من أجل رفعة درجاتهم عند الله وذلك بالصبر والمصابرة؛ ولهذا قال الله لنبيه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥]. فالشيخ ينبه على هذه المسألة العظيمة أنه ما بعث الله نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً، وكلما كان الإنسان أقرب للأنبياء وأتبع لهم وألزم لطريقهم أصيب من هذه المعاداة بقريب مما أصيب به الأنبياء، وأعظم الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

قال: «**كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾**[الأنعام:١١٢]»، قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ هذا فيه أن ما من نبي بعثه الله إلا وله أعداء، من هم أعداؤه؟ قال رب العالمين: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾، قال بعض أهل العلم: قُدِّم ذِكر شياطين الإنس على شياطين الجن في هذه الآية الكريمة؛ لأن شيطان الإنس يأتي بهيئة واضحة بهيئة ظاهرة، هيئة الناصح المشفق المحب للإنسان الخير، مما يكون سببًا لانخداع كثير من الناس ، أليس فرعون قال لقومه وهو الذي

يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[النازعات:٢٤]؟، أليس قال لهم: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر:٢٩]؟، حتى إن أحد الوُعاظ -كما ذكر ابن الجوزي في أحد كتبه- عَلِقَتْ في ذهنه هذه الكلمة: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ فقال للناس وهو يعظهم: "لا أقول لكم إلا كما قال العبد الصالح: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾"، عَلِقَتْ في ذهنه ورودها في القرآن وهي كلمة جميلة ولا يقولها إلا إنسان صالح ناصح؛ لكنه نسيَ وهو يُوردها للناس أنها من قول الطاغية فرعون، يذكر أنها في القرآن هذه ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، من الذي يقول: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ إلا الإنسان الصالح الناصح!! ولهذا هذا الواعظ علِق في ذهنه ورودها في القرآن فقال للناس في موعظته لهم: "ما أقول لكم إلا كما قال العبد الصالح: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾". فشياطين الإنس يأتون بمثل هذه الهيئة، ولهذا قال الله عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾[الزخرف:٥٤]، يستخف الناس بمثل هذه الكلمات ، مثل هذه الألفاظ ، مثل هذه الزخرفة ،كما سيأتي في تمام الآية

قال: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام:١١٢]هذه بضاعتهم؛ بضاعة مُبطلة في كل زمان وأوان الزخرفة؛ زخرفة الباطل، والزخرفة: هي تزيين الشيء وتنميقه ، وهي إظهاره بالصورة الجميلة. وزخرفة الباطل: بأن يُظْهَر للناس في صورة الحق وبالصورة الطيبة الجميلة. قال: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ أي الذي يَغُرُّ الإنسان ويوقعه في الهلكة بسبب ما احْتَفَّ به من تزيين وزخرفة وتنميق وتجميل . ولهذا ينبغي على الإنسان أن يحرص على الحق وأن يحذر من الباطل وإنْ زخرفه المبطلون.

قال رحمه الله تعالى :

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[غافر:٨٣] .

****

قال: «**وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ**»، وهذه أيضاً مسألة ينبه عليها الشيخ مهمة ؛ قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، ليس من الضروري أن تلقى في مَن يعادي التوحيد أناسًا لا علم عندهم؛ بل ربما تلقى في من يعادي التوحيد من هو صاحب علم ، إما علم باللغة وأساليبها ودرايةً بها وعلمًا بها ، أو بالبلاغة والفصاحة وما إلى ذلك، أو يكون عنده علوم عصرية وأمور من ظاهر الحياة الدنيا، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم:٧]، أو يكون عنده شيء من العِلْم الذي جاء به المرسلين، كأن يكون عنده علم بالقرآن أو علم ببعض الأحاديث، ولكنه ليس من أهلها؛ وإنما حفظها وقرأها ودرسها ليُشبِّه على أهلها، حتى قيل في بعض المستشرقين أنه من شدة حرصه على التلبيس على أهل الإيمان حفظ القرآن، حتى يكون مستحضرًا له ويحاول أن يثير ، على طريقة أهل الزيغ ،وستأتي الآية عند المصنف ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: ٧] ؛ ولهذا ينبه الشيخ على ذلك يقول: «**وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ**» مثل ما أشرت إليه؛ إما : علم اللغة، أو علم أمور ظاهرة من هذه الحياة الدنيا، أو أيضاً علم بأشياء من الوحي يتعلمُها من أجل أن يلبِّس على الناس أو يشكك الناس في دينهم، عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ ، أحد السلف يقول في التحذير من صاحب البدعة: "فإنه مُلقِّنٌ حُجَّتَه"؛ يعني يأتي مُحمَّلٌ بالشبهات العاصفة والشبهات الجارفة، فقد يأتي ومعه شيء من الكتب أو العلوم أو الحُجَج التي يُدلي بها؛ ولكنّ هذه التي يحملها هؤلاء في ميزان التحقيق وعند أهل البصيرة في دين الله والرسوخ حقيقتها ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[النور:٣٩]؛ ولكنّها عند الجهّال وقليلي العلم قد تُخْلِخِل وتُلَبِّس وتُحَرِف وتُغَيِّر وتُبَدِّل.

قال رحمه الله: كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ "، وهذا هو الشاهد من الآية: ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي عندهم علم!، ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾، قد يكون عنده علم يُجادل به ويُحَاج ويُخاصِم.

قال رحمه الله تعالى :

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِن دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِين قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف:١٦-١٧] ، وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللهِ وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦] . وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧٣]، فَجُندُ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسِ مَعَهُ سِلَاحٌ ، وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ تِبْيَانًا

لِكُلِّ شِيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وفِي الْقُرْآنِ مَا يَنقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣]. قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَة عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

****

قال رحمه الله: «**إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ**» أي ما قدّم الشيخ رحمه الله ذكره وتقريره.

«**وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ**»، نعود إلى المثال السابق الذي أشرت إليه قريباً؛ لو كان بيدك كنز ثمين جدًا وأنت تمشي بهذا الكنز وتعلم أن الطريق الذي تسير فيه تحمل هذا الكنز فيه أعداء كثيرون، لنفرض أن بيدك مليون ريال فرح بها وربحتها، وتعرف أن في الطريق أعداء كل واحد منهم يريد أن ينهبها منك وأن يخطفها منك وأن لا يبقيها في يدك لحظة، تمشي وأنت مخاطر بها وإلّا تكون شديد الحرص؟! التوحيد أو المليون؟ فتوحيد الإنسان أثمن شيء، وأمامه أعداء كثُر يريدون خطف هذا التوحيد منه؛ بل قال ابن القيم رحمه الله في بعض كتبه: إن مَثَل الشيطان مع الإنسان كمَثَل إنسانٍ معه قطعة لحم، وحوله كلبٌ جائع يلهث يطوف عليه ينتظر متى يغفل لحظة واحدة ليخطف منه اللحمة. والأعداء الذين يريدون خطف التوحيد من الإنسان منهم أعداء ظاهرون، وأعداء أخفياء، كما قال بعض السلف: «عدو يراك ولا تراه شديد المؤنة» أي الشيطان، فإذا عرف الإنسان أن هناك أعداء يمكرون به وقاعدون له في طريقه، قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الشيطان قاعدٌ لابن آدم بأَطْرُقِهِ)) قاعدٌ لهم في طريقه، وأهم شيء يريد الشيطان إضلال الإنسان فيه: التوحيد، ولهذا جاء في حديثٍ ثابت أن الشيطان إذا أصبح يجلس على عرش ثم يَبُث جنوده، فيأتيه الواحد من جنده ويقول: "لم أزل به حتى عق والديه"، قال: "يوشك أن يبرهما"، يأتيه الثاني يقول: "لم أزل به حتى كذا"، فيقول: "يوشك أن..."، إلى أن يأتيه الرجل فيقول: "لم أزل به حتى أشرك بالله"، فيقول: "أنت أنت" ويلبِسه التاج، وفي الآية التي في سورة الحشر ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا (١٧)﴾ ، اقرؤوا كلام المفسرين ولا سيما ابن كثير رحمه الله لهذه الآية الكريمة.

قال : «**وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ؛ أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ**»، العدو إذا كان مدجَّج بالسلاح أخطر من العدو الذي ليس معه سلاح ، إذا كان عدوك الذي يريد خطف الإيمان منك والتوحيد صاحب فصاحةٍ وعلمٍ وحُجَج فإن هذا أخطر من الإنسان العادي الذي لا علم عنده ولا حجة، والناس يخافون من العدو المحمَّل بالسلاح أكثر من خوفهم من العدو الذي لا سلاح معه ؛ فهذا مما يزيد الحذر والحيطة، قال: «أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ».

ثم قال رحمه الله تعالى ناصحًا ومحذرًا: «**فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِن دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ**» وهذه نصيحة عظيمة جداً من هذا الإمام رحمه الله تعالى؛ أَنْ تَعْلَمَ مِن دِينِ اللهِ مَا يكون سِلَاحًا لَكَ ؛ لكن إذا مشيت بدون سلاح فأنت على خطر، لاسيما أن طريقك مليء بالأعداء، وسلاحك الذي يشير إليه الشيخ هنا: العلم، العلم: قال الله قال رسوله ، أن تعرف التوحيد وأن تفهمه وأن تحفظ أدلته وأن تعتني بدراسته، ودَعْكَ ممن يهوّنون من شأن التوحيد ومن دروس التوحيد، دَعْكَ منهم، أعطي من وقتك التوحيد الشيء الكثير، النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه))، قراءتك للآيتين من سورة البقرة ولاسيما الآية الأولى منهما تجديد للإيمان، استذكارًا له كل ليلة، قراءتك آية الكرسي مرات وكرات هذا تجديد للإيمان والتوحيد . فلا يزال المسلم يجدد إيمانه ويجدد توحيده. أُثْنِيَ مرةً -كما ذكر هذا ابن القيم رحمه الله- أُثْنِيَ على شيخ الإسلام ابن تيمية فقال كلاماً منه: «لا أزال كل يوم أجدد إيماني»، يحتاج الإنسان إلى تجديد إيمانه والسعي في تحقيق توحيده وتكميله وتقويته، يقول عليه الصلاة والسلام: ((إنَّ الإيمان لَيَخْلَق في جوف أحكم كما يَخْلَق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)).

الشيخ ينصحك أن تكون ذا عناية عظيمة جدًا بأمر التوحيد والفقه فيه، قد قال عليه الصلاة والسلام: ((من يُرِد الله به خيراً يفقهُّه في الدين))، وقوله ((في الدين)) يشمل الفقه في التوحيد الذي هو الفقه الأكبر ، والفقه ايضاً في الأحكام.

قال: «**فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِن دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ، تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ**» أي شياطين الإنس والجن الذين مرّ الإشارة إليهم في الآية

«**الَّذِين قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾** [الأعراف:١٦-١٧]»، وتأمل هنا قول عدو الله الذي ذكره الله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، فهو أين يقعد وأين يحرص في قعوده؟ في الصراط المستقيم، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنه: إن اليهود تزعُم أن الشياطين لا توسوس لها في صلاتها، لا تأتيهم وساوس في صلاتهم!، فقال رضي الله عنه: «وماذا يصنع الشيطان ببيتٍ خرب!» ، فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإذا كان الإنسان ماضيًا على الصراط أو تائبًا مقبِل على الصراط ، مثل: كافر يريد أن يسلم أو عاصي يريد أن يتوب يقعد له ليَثْنِيه عن الدخول فيه إن كان يريد الدخول ، أو ليثنيه عن الاستمرار فيه إن كان من أهله.

قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ ؛ وهذا فيه أن مجيئ الشيطان للإنسان ودخوله عليه من كل جهاته ، فأنت على خطر من جميع الجهات، وينبغي أن تكون على حذر في كل الأوقات، وفي حيطة في كل الأوقات، وفي الدعاء المأثور العظيم: ((اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)).

قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ وهذا فيه أن أكثر الناس يكونون صرعى لمكر الشيطان وكيده ووساوسه، ويسلم منهم القليل ممن كتب الله تبارك وتعالى لهم السلامة وكتب لهم النجاة، جعلنا جميعاً منهم.

قال: «**وَلَكِنْ**» واسمع هذه الوصية العظيمة: «**وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللهِ وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ**»؛ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللهِ بقلبك وقالبك صادقًا مع ربك سبحانه وتعالى ترجو رحمته وتخاف عذابه وتسلِّم أمرك إليه وتفوض أمرك إليه وترجو نجاتك وسلامتك منه تبارك وتعالى ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

إذا أقبلت على الله سبحانه وتعالى صادقًا «**وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ**» جمع لك في هذه الوصية رحمه الله في قوله: "أَقْبَلْتَ عَلَى اللهِ ، وَأَصْغَيْتَ" جمع لك ما جاء في قوله: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله))، «أَقْبَلْتَ عَلَى اللهِ» أي مستعينًا به متوكلًا عليه ملتجئًا إليه طالبًا مده وعونه وهدايته وتوفيقه، «وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِه وَبَيِّنَاتِهِ» أي بذلت الأسباب التي هي تعلم العلم الشرعي ودراسة العلم الشرعي والفقه في دين الله ، وملازمة القرآن والسنة علمًا وتعلمًا تلاوةً واستذكارًا ومدارسةً «**فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ**» ؛ الخوف والحزن إذا جُمعا فإن: الحزن يتعلق بالشيء الماضي، والخوف يتعلق بالشيء المستقبل، فأنت إذا كنت على هذا الطريق ماضيًا مستعينًا بالله عز وجل ومقبلًا على حُجَجه وبيّناته لا تخف ولا تحزن، وهذا هو شأن أهل الاستقامة الذين نُفيَ عنهم الخوف والحزن في آيتين من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأحقاف:١٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت:٣٠].

قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦] أي أن أهل الإقبال على الله وحُسن الالتجاء إليه وملازمة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا سبيل للشيطان عليهم ، ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٤-٦٥].

قال: «**وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ**»؛ الْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الذي عرف التوحيد ولزمه يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وقد كانوا قديماً يلقّنون العوام في المساجد التوحيد، ويلتزم إمام المسجد تلقين العوام توحيد الله، يلقنونهم التوحيد بحيث أن الإمام في كثير من الصلوات يسأل، يلتفت إلى أحدهم يقول: "اقرأ الدين"، فيبدأ يقرأ، يلقنونه، وإذا وجدوه غير حافظٍ يُعاوِدونه، كانوا يحفِّظونهم هذا في الصغر، يحفظونه العوام، فتجد أمور الدين الأصول الثابتة التي جمعها الشيخ رحمة الله عليه في كتابٍ سماه: «الأصول الثلاثة»، وهذه الأصول الثلاثة كتبها بعدة صِيَغ: صيغة للأطفال ، وصيغة للعوام ، وصيغة لطلبة العلم، حتى إن الصيغة التي كتبها للعوام كتبها باللفظة العامية: "إذا قيل لك وِشْ ربّك؟ قل: ربيَ الله" بهذه الصيغة مكتوبة، ويحفظونها العوام؛ لكنهم يفهمون الدين، والذي حفظه في الصغر يكون في عمره الكبير ضابطًا له.

جَدِّي رحمة الله عليه كنت عنده قبل وفاته بأكثر من شهر، فقال: "الطواغيت كثيرون" وهو كبير في فراش المرض، قال: "الطواغيت كثيرون –لا كثّرهم الله– ورؤوسهم خمسة: أولهم إبليس عليه لعنة الله، وثانيهم كذا وبدأ يعدد، قال لي الخامس: نسيته، ذكرني إياه"، قلت له: "من عُبِد من دون اللهِ وهو راضٍ"، قال: "نعم، هذا طاغوت مُدَلْدَل"، يعني مكشوف، الشيئ المدلدل: مكشوف من جميع الجهات واضح للناس من جميع الجهات . الحفظ هذا الذي في الصغر وتلقينه للعوام وغيرهم يبقى معه حتى وهو كبير، حتى إذا خَرُف وكَبُر تبقى هذه المحفوظات معه دين ثابت؛ لكن إذا كان مُهمَل لا يُعلَّم ولا يُلقَّن ولا يُدرَّس تجد قلبه خاوي من هذه الأشياء وفارغ منها، بينما إذا حُفِّظ لها ولُقّن إياها وضبطها فمثل هؤلاء العوام بإذن الله يُحفَظُون بحفظ الله تبارك وتعالى من ضلالات المشركين؛ لأن معه دين يحفظه ويضبطه من صغره، ثابت عنده لا يُساوَم فيه ولا يُنازَع ؛ أي أشياء ثابتة يحفظها ويحفظ شيء من أدلتها ولا يُنازع فيها ، يمشي عليها حياته كلها.

فهنا يقول: «**الْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ**» ؛ العوام الذين حفظوا الدين بتوفيق الله عز وجل وضبطوه وأصبح دينًا ثابتًا عندهم لا يُساوَمون عليه، إذا جاءه أحد من علماء المشركين ويُزين له عبادة قبر أو توجهًا إلى ضريح، يقول له: "هذا من الطواغيت؛ من عُبد من دون الله وهو راضٍ، العبادة لله"؛ لكن إذا كان جاهلاً ولُبِّسَ عليه ببعض الشبهات حرفته –والعياذ بالله– عن دين الله عز وجل.

قال: «**وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الْأَلَفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[الصافات:١٧٣] » وهنا ينبغي أن يلاحظ أيضاً تأييد الله لعبده المؤمن ونَصْره له ، من كان صادقًا في إيمانه وفي توحيده وفي عقيدته فإنه يحظى بإذن الله تبارك وتعالى بتأييد الله له وحِفْظِه له ونصره، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[غافر:٥١]، فيؤيده الله وينصره ويحفظه، قال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ؛ لأن وليهم الله،

وأعداء الدين وليهم الشيطان، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[البقرة:٢٥٧]، ومن كان الله وليُّه كفاه وأيده ونصره ووقاه.

قال: «**فَجُنْدُ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ**»؛ لأن معهم نصر الله وتأييد الله عز وجل وحفظه سبحانه.

قال مُحذرًا رحمه الله تعالى: «**وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسِ مَعَهُ سِلَاحٌ**»؛ إذًا العامي إذا حُفِّظ الدين ولو شيء مختصر مثل: «الأصول الثلاثة» التي كتبها رحمةُ الله عليه بلهجة مبسطة وبكلمات مختصرة، إذا حُفّظ وكُرِّرَت معه وأصبحت ثابته عنده معها شيء من الأدلة ؛ فبإذن الله تبارك وتعالى تكون سبب لحفظه وسلامته. وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسِ مَعَهُ سِلَاحٌ؛ فهذا فيه تحذير من التخلي عن العلم الذي هو السلاح.

«**وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**»، لاحظ هنا ملاحظة مهمة جدًّا: خصوم الشيخ رحمه الله وأعداءه يزعمون ويدّعون كثيرًا أنه جاء بدين خامس وبمذهبٍ جديد واخترع إلى آخره، ونحن نلاحظ الشيخ رحمة الله عليه في كل كتاباته لم يربط الناس بشيء اخترعه، ولم يربطهم بشيء أنشأه؛ وإنما كل ربطه لهم بالكتاب والسنة، الآن لما أكّد على مسألة السلاح وأن الإنسان معه يكون سلاح، رأسًا ربط بالقرآن، ليكن معك سلاح، ما قال: "حافظ على مبادئنا –مثل بعض الطرق– ولا تضيع كلام أشياخنا، ولا تخرج عن رسومنا" إلى آخره هكذا يقول دعاة البدع، ما قال ذلك؛ لأنه ليس عنده شيء أنشأه هو، أما اولئك الأشياء التي عندهم هم أنشأوها أو أشياخهم؛ ولهذا وصاياهم ربط برسومهم وطرائقهم وأشياخهم ومبادئهم إلى غير ذلك.

فالشيخ هنا لما أوصى بحمل السلاح، لو كان يحمل مبدئًا أو يحمل أمرًا هو أنشأهُ أو اخترعه لقال في مثل هذا الموضع لما أوصى بحمل السلاح قال: «وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»، أي فحافظ على كتاب الله وحافظ على سنتة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا رأيته في هذا الكتاب وفي عامة كتبه لا يذكر شيئاً إلا ويُتْبِعُه بالآية والحديث.

قال: «**فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وفِي الْقُرْآنِ مَا يَنقِضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا**»، وهذا قاعدة تأصيل من هذا العالم المبارك؛ لَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ مَا يَنقِضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا ، ما هناك شبهة تُثار يُناقَض بها التوحيد أو يُشوَّش بها على أهل التوحيد إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، لكن هل كل أحد يستحضر ذلك؟ حتى في الأشياء الواضحة قد لا يستحضر الإنسان.

أنا أريد أضرب لكم مثالاً: لقيت بعض الطلبة قديمًا قبل أكثر من عشر سنوات في الجمهوريات الإسلامية؛ اذربيجان والمناطق التي هناك، فكنت معهم في بعض الدروس فذكرت لهم فائدة وقفت عليها في كتاب «الحُجَّة» للتيمي؛ وهي أنّ أحد الملاحدة جاء أمام بعض المسلمين وقال: "أنا أخلق! ليس الله وحده الذي يخلق، أنا أخلق!"، وأتى بزجاجة وضع فيها بعض الأشياء المتعفنة من اللحم أو غيره وأحكم إغلاقها، وقال: "أحضروها لي بعد ثلاث أيام"، فجيء بها فإذا هي ممتلئة دودًا، فقال: "أنا الذي خلقت هذا الدود، أنا الذي أوجدته"، فكان أحد الحاضرين -كما ذكر التيمي في (الحُجَّة)- وهو أصغر من في المجلس، قال: "لم يكن أحدٌ لِيَخْلُق إلا ويعلم عدد ما خلق، وذكورهم من إناثهم، وأرزاقهم، وآجالهم، فأبِنْ لنا ذلك كله!!"، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[الملك:١٤] ، فالخالق يعلم، من لوازم الخلق أن يعلم بمخلوقاته، أما يخلق ولا يعلم ما يمكن!، فأبِنْ لنا ذلك؟ كم عدد مخلوقاتك؟ السؤال الأول، كم عدد الذكور من الإناث؟ كل واحدة من هذه الدود متى تموت؟ كل واحدة من هذه الدود ما هي أرزاقها وأقواتها؟ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨] .

ذكرت هذه الفائدة في أحد الدروس -وهذا موضع الشاهد- فجاءني أحد الطلبة يُعظِّم هذه الفائدة تعظيماً ما سمعته، تعظيم شديد، "سبحان الله ما أعظم هذا الكلام!" مشدودًا! قال: "هذا أحد الشيوعيين فعله عندنا في الفصل!" يقول: "ونحن نعرف أنه خطأ؛ لكن ما هُدينا لهذا"، يقول: "ليتني عرفت هذا الكلام حتى أقوله" .

إذًا الحجة موجودة، قد تكون تحفظ أنت الآية حفظًا متقنًا؛ لكن ما يحضرك الاستدلال بها، ومعرفة دلالتها، ولهذا يقول الشيخ : «فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ مَا يَنقِضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا» ما الدليل؟ الشيخ لا يذكر شيء إلا بدليله.

قال: **كَمَا قَالَ تَعَالَى** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]؛ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي بحُجَّةٍ أو بشبهةٍ أو نحو ذلك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، قال ابن القيم رحمه الله : «الحق: هو المعنى المدلول الذي تضمنه الكتاب، والتفسير الأحسن: هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق فهي تفسيره وبيانه ، وهذا كله في كتاب الله عز وجل» قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي بحجة أو بشبهة أو نحوِ ذلك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

فإذًا القرآن كفيلٌ بإبطال شبهات المبطلين وأضاليل المضلين، وهذا يقوله الشيخ رحمه الله لك حتى تعتني بالقرآن، ليس المراد بالعناية بالقرآن حفظ حروفه؛ بل المراد مع الحفظ الفَهم ؛ فَهم معانيه ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة:١٢١]، قال أهل العلم: لا يكون تَالِيًا له حق التلاوة إلا بالحفظ والفهم والعمل ؛ بهذه الأمور الثلاثة.

«**قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» ؛ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله التزم مع خصومه –مع أعداء التوحيد وأعداء الإيمان– أن لا يحتجوا على باطلهم بآية من القرآن إلا ويرد عليهم بالآية نفسها التي احتجوا بها، قال: أنا ملتزم أن أي مبطل يحتج على باطله بآية من القرآن أن أرد عليه بالآية نفسها، غير الآيات الأخرى الكثيرة ؛ لكن التزم التزامًا أن أي مُبطلٍ يحتج بآية على باطله بآية من القرآن أن يرد عليه بالآية نفسها ، وأن يبين بطلان ما هو عليه بالآية نفسها.

ومن تطبيقه العملي لهذا الأمر في صغره رحمه الله: أنه لقي أحد المتصوفة، وقال ذاك المتصوف: "إن من أسماء الله (هُو) "، قال: "دليل ذلك في القرآن قال: "﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]"، قال: "وما يعلم تأويل (هو) إلا الله"؛ قال : يعني لا يعلم تأويل اسم الله (هو) –هذا فَهم الصوفي– لا يعلم تأويل اسم الله (هو) إلا الله " فيقول: (هُو) اسم من اسماء الله، قال : فقلت له : «لو كان الأمر كما تقول لرسمت (هُو) بالواو ليس بالهاء»؛ لأن هذا رسمها، (هو): هكذا تُرسَم: ها واو، قال: "لو كان الأمر كما تقول لرسمت بالواو"؛ فأبطل قوله بالآية نفسها، وهو ملتزم رحمه الله هذا الالتزام أنه لا يستدل مبطل على باطله بآية من القرآن إلا يرُد عليه بالآية نفسها، فضلاً عن الآيات الأخرى.

ثم إنه فيما بعد التزم التزامًا آخر مع المتكلمين أنهم لا يتحججون على باطلهم بحجة عقلية إلا ردّ عليهم باطلهم بالحجة نفسها، والتزم هذا الالتزام لأن العقل الصحيح لا يدل إلا على حق، فإذا قالوا شيئًا يحتجون عليه بالعقل يُبيِّن لهم بالعقل من خلال الاحتجاج نفسه أنه أمرٌ باطل ولا يستقيم.

«**قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» .

ثم بعد ذلك دخل رحمه الله تعالى بعد أن مهّد بهذه التمهيدات دخل في أساس الموضوع وهو (كشف الشبهات). وكان في طريقته رحمه الله تعالى في كشف الشبهات أن ذكر أولاً إجابة مُجملة في رد كل شبهة ، ثم ضرب أمثلة لبعض الشبَه التفصيلية وأجاب عنها تفصيلًا ، ويكون الكتاب بإذن الله تبارك وتعالى سلاحًا عظيمًا لطالب العلم في باب الشبهات ، ولا يكون هذا سلاحًا لك إلا إذا ضبطت هذه المقدمات التي انتهت ضبطًا مُتقَنًا وعرفتها وعرفت دلائلها، ثم عرفت الجواب المجمل أيضا وتضبطه ضبطًا جيدًا، ثم بعد ذلك الأجوبة التفصيلية، وهذه كثيرة جدًا قد لا يتهيأ لك العلم بكل التفاصيل؛ لكنك إذا أخذت أمثلة من التفاصيل وطريقة أهل العلم في الإجابة عليها تُصبِح معك سلاح بإذن الله تبارك وتعالى تقطع به دابر كل مبطل . جعلكم الله أجمعين من أنصار دينه وحماة التوحيد .

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.